

مصادر موسيقى الريف، 1975

حافيتي القدمين على أحد الجبال حيث تقومان بالغناء على أصوات آلة القانون الموسيقية التي يتم حملها فوق الركبة وهي آلة قديمة مرتبطة بالأغاني الشعبية في جبال الأبالاش. في الزاوية المقابلة يوجد راعي بقر مسلح، يضع إحدى قدميه على سرجه، ويلف نفسه بجيتار، كما يوجد إفريقي أمريكي، يبدو أنه منتقي قطن في "الجنوب العميق"، يعزف نغمة على آلة البانجو الموسيقية، وهي آلة موسيقية كان يجلبها الرقيق معهم إلى العالم الجديد. وراء هذا الإفريقي الأمريكي، على الجانب الآخر من خطوط السكك الحديدية، توجد مجموعة من السيدات السود يرقصن على ضفة النهر البعيدة. على الرغم من مدى الأنماط والأدوات والعادات الإقليمية، تبدو الصورة الزيتية الجدارية خافتة بنضه واحدة، كما لو كان بيتون يحرص على ضمان عزف جميع الموسيقيين المدونة الموسيقية نفسها وغناء الأغاني الأمريكية المتنوعة بشكل متزامن.

تحافظ الجدارية على تقديم صورة لطرق التفكير والشعور والسلوك الأمريكية التي تمر في حالة انقراض سريع. يعبر الطراز النشط لبيتون بصورة مميزة عن الإيقاعات القوية للموسيقى مع توضيح حتمية التغيير. قامت العديد من الأشكال النشطة، التي تأخذ الحجم الحقيقي تقريباً بعمل توازن على الأرض المتغيرة غير المستوية. يبدو عازفو الكمان معرّضين للسقوط على الأرضية المنحنية بصورة غامضة، كما يشكل زند الخشب الذي يجلس عليه العازف على آلة البانجو الموسيقية تهديداً متمثلاً في اللف أسفل المنحدر الحاد للمنظر الطبيعي المكون من الصلصال الأحمر، حتى أن أعمدة الهوائيات تبدو متمايلة في الخلفية. يوضح المحرك البخاري، الذي يمثل دلالة على التغيير، نهاية الحياة الزراعية وتجانس الثقافة الأمريكية، والتي يتبعها بالضرورة فقدان العادات الإقليمية.

تعبر الصورة الزيتية الجدارية عن الولاء لمغني الموسيقى الريفية ونجم الأفلام تيكس ريتز، الذي ساعد في إقناع بيتون بقبول تفويض ناشفيل لكنه مات قبل إكمال اللوحة. قام بيتون بإظهار ريتز في صورة راعي البقر المغني الذي يتحول لمواجهة المحرك الذي يسير بالفحم الأسود الذي يطلق بخاره في الأفق. تم تصميم القطار نفسه على طراز "القطار الخاص المحتوي على قذيفة مدفع"، والذي تمت قيادته وتحطيمه بواسطة كاسي جونز، بطل أغنية شعبية أمريكية؛ كما يعيد القطار للذاكرة الأغنية الشعبية الشهيرة "قذيفة مدفع واباش" التي تدور حول قطار أسطوري ينطلق عبر الريف، ثم يطلق هزيمة في السماء. يعد المحرك، والذي ربما يشير إلى جوانب إيجابية وأخرى سلبية للتقدم الأمريكي (انظر لوحة إدوارد هوبر "منزل بجانب السكك الحديدية"، 1916)، العنصر الوحيد للتركيب المعقد الذي شعر بيتون بأنه لا يمكن أن يصبح ملائماً بشكل كامل. لسوء الحظ، لا نعرف مطلقاً الأسلوب الذي أراد بيتون أن يكون القطار معبراً عنه. قيل أن بيتون مات نتيجة لأزمة قلبية حادة أثناء الوقوف أمام الصورة الزيتية الجدارية في يناير عام 1975، محاولاً تحديد إمكانية البحث عن القطار وإعادة رسمه، وسواء كانت هذه القصة حقيقية أم مزيفة، فإن عمله النهائي لم يتم التوقيع عليه.

كان توماس هارت بيتون يبلغ من العمر أربعة وثمانين عاماً في عام 1973، وذلك عندما خرج من خلوته لرسم صورة زيتية جدارية لمتحف وقاعة مشاهير الموسيقى الريفية في ناشفيل، تينيسي. تمثلت مهمته في توضيح المصادر الإقليمية للنمط الموسيقي المعروف باسم "الريف"، حيث لم يستطع بيتون مقاومة الفرصة التي أتت له لرسم احتفال خالد للتقاليد الأمريكية النامية في الوطن. كان بيتون نفسه عازف هارمونيكا ماهر نشأ على الموسيقى القديمة في مقاطعة أوزارك التابعة لولاية مسوري. حدث خلال الفترة التي عاشها بيتون أن قامت صناعة الموسيقى الريفية التي تركز على عدة ملايين من الدولارات في ناشفيل باستبدال الموسيقى المعتمدة على المجتمع في الريف الأمريكي. ولكونه فناناً، اكتسب بيتون مجموعة أتباع مشهورين خلال عقد الثلاثينيات من القرن العشرين من خلال أعماله مخاطب الناس العاديين. وبجانب الفنانين الإقليميين الموجودين في وسط وغرب أمريكا مثل جرانت وود (انظر الشكل 3-أ)، رفض بيتون "الجمال الباريسي"، المعبر عن التأثير الأوروبي على الفن الأمريكي، واحتقر الفن التجريدي واعتبره "عالمياً أكاديمياً لنمط عقيم". كان طموحه هو رسم موضوعات واضحة ذات معنى — "العالم الحي من الرجال والنساء" — الذي يحتوي على جاذبية واسعة وشائعة. وعلى أساس موضوعه ومحيطه، كانت الصورة الزيتية الجدارية لناشفيل صورة "موجهة إلى الأشخاص الذين لم يعتادوا زيارة المتاحف الفنية".، وذلك حسب قول بيتون.

توضح ملصقة "مصادر موسيقى الريف" خمسة مشاهد متميزة لفحص الموسيقى الخاصة بالمواطنين الأمريكيين العاديين. يوضح الموضوع الرئيسي لرقصة الحظيرة، من خلال اثنين من عازفي الكمان الذين يتجمعون في مجموعات لتكوين مجموعة من الراقصين الرباعيين. هناك مشهد هادئ نسبياً يوضح ثلاث سيدات مرتدين ملابس الأحد ويمسكن كتب ترانيل في أيديهم، مما يوضح أهمية الموسيقى الكنسية في حياة البروتستانت الأمريكيين. في الجزء الأمامي، تبدو سيدتان



18-أ توماس هارت بيتون (1889-1975)، "مصادر موسيقى الريف"، 1975. لوحة زيتية إكريلية على قماش، 72 × 120 بوصة (182.9 × 304.8 سم). متحف وقاعة مشاهير الموسيقى الريفية (علامة مسجلة)، ناشفيل، تينيسي. تتم إدارة متحف وقاعة مشاهير الموسيقى الريفية بواسطة شركة Country Music Foundation, Inc، القسم 501(ج)(3) وهي منظمة تعليمية غير ربحية حاصلة على ترخيص من ولاية تينيسي في عام 1964.

وصف وحلّل | م | ث

اجعل التلاميذ يبحثون عن خمسة مشاهد في هذا الرسم تُظهر الموسيقيين الإقليميين. توضح هذه المشاهد جذور الموسيقى الريفية الأمريكية. هل بمقدور التلاميذ تحديد نوع الموسيقى التي يمثلها كل من هؤلاء الفنانين؟ الموسيقى الكنسية وموسيقى التراتيل الجماعية: توجد ثلاث سيدات مع قائد فرقة تراتيل (أعلى اليسار) واللاتي يمثلن الموسيقى الكنسية وموسيقى التراتيل الجماعية. مغنون في جبال الأبالاش: توجد سيدتان حافيتي القدمين تقومان بالعزف على آلة القانون الموسيقية حيث تمثلان جبال الأبالاش. رقصة الحظيرة: يوجد اثنان من عازفي الكمان وراقصان (في الوسط) حيث يمثلون رقصة الحظيرة. راعي البقر المغني: يوجد رجل ممسك بجيتار (في اليمين) يعبر عن "راعي البقر المغني". الموسيقى الإفريقية الأمريكية في الجنوب العميق: يشير الرجل الممسك بالآلة البانجو الموسيقية ومجموعة السيدات الموجودين على ضفة النهر البعيدة (منتصف اليمين) إلى الموسيقى الإفريقية الأمريكية للجنوب العميق.

م | ث

كيف قام بينتون بضم هذه المشاهد المختلفة داخل تركيبة واحدة موحدة؟ لقد عمل على إحداث تشابك بين النماذج، مستخدماً طراز الرسم نفسه في كل مكان، وكرر الألوان، وجعل غالبية الأشكال مواجهة لمركز الصورة. بمجرد تمرکز جميع هذه التأثيرات الموسيقية في موسيقى الريف الأمريكية، تكون هذه التأثيرات منسجمة معاً في تركيبة موحدة داخل هذا الرسم.

| م | ث

كيف قام بينتون بإنشاء حس به إيقاع وحركة من خلال هذه التركيبة؟ تنحدر غالبية السطور والهياكل الرأسية إلى اليمين، مما يؤدي إلى تكوين حركة بصرية في ذلك الاتجاه. ينحني القطار حيث يسرع متجهاً نحو اليمين، حتى أن أعمدة الهوائيات تبدو متمائلة.

فسّر | م | ث

ما هي الأشياء والأشخاص التي يتم من خلالها عزف موسيقى وإحداث صوت في هذا المشهد؟ يقوم الترتيل الجماعي، سيدات الأبالاش، عازف آلة البانجو الموسيقية، وراعي البقر بالغناء. يحدث القطار هزيمًا وصفيراً، تصدر المراكب النهرية صفيراً، ويطأ الراقصون بأقدامهم على أرضية خشبية. تقوم كل من آلة القانون الموسيقية وآلات الكمنجة وآلة البانجو الموسيقية بعزف الموسيقى. أراد بينتون أن يقوم جميع الموسيقيين بعزف المدونة الموسيقية نفسها وغناء نغماتهم الموسيقية المختلفة بشكل متزامن. هل تعتقد أن هذا الرسم يبدو مثل فوضى مفعمة بالضجيج أم أن جميع أجزائه في صورة متناسقة؟

م | ث

ما الذي يمثله المحرك البخاري؟ يشير المحرك البخاري إلى التغيير — نهاية الحياة الزراعية حيث هجر الأمريكيون المزارع وذهبوا للعيش في المدن واندمجت الثقافات الإقليمية معاً.

م | ث

لماذا قام بينتون في رسمه بإظهار الولاء للفنان تيكس ريتير، راعي البقر المغني؟ قام ريتير بالمساعدة في إقناع ريتير برسم هذه الصورة لكنه مات قبل إكمالها. لماذا لم يقيم بينتون بالتوقيع على هذا الرسم؟ لأنه مات قبل اكتماله. حاول بينتون قبل مماته تحديد مدى إمكانية إعادة رسم القطار. ما هو السبب في اعتقادك وراء رغبته في القيام بهذا الإجراء؟